اجتهادات
اجتهادات الحوار فى الإسلام

لا وجود لحوار فى مصر هذه الأيام. وليس هذا إلا بعض ما هو معلوم من الواقع، ولا يحتاج إلى أدلة أو براهين. فالمصريون إما يُكلمون أنفسهم فى صورة

مونولوجات»، أو يهاجم كل منهم الآخر ويهجوه ويشتمه. وهم يفعلون « الأمرين معاً فى كثير من الأحيان، وهو ما يمكن أن نسميه «المونولوج الهجائى».

وتبدو حالة مصر على هذا النحو منبتة الصلة بأية خلفية فكرية أو دينية أو حضارية من أى نوع. ربما يظن بعضنا أننا نختلف فى ذلك عن الغربيين وثقافتهم وحضارتهم فقط. ولكن الحقيقة هى أن حالتنا الراهنة تضعنا خارج التاريخ بأطره المختلفة، بما فى ذلك المساحات المستنيرة فى تاريخنا الإسلامى.

وليس قول الإمام الشافعى المشهور (ما ناظرت أحداً إلا أحببتُ أن يُظهر الله الحق على لسانه)، والذى يُستدعى عادة كلما دخلنا الغرفة المنيرة فى التراث الإسلامى، ما هو إلا تعبير عن اتجاه قوى فى تاريخنا لا نرى له أثراً فى حاضرنا الذى ستخجل أجيال قادمة مما يعج به من شتائم متبادلة، ومن الطريقة السائدة فيما يُطلق عليه «حوار» فيه دون أن يكون له من اسمه نصيب.

ففى معظم ما يُسمى «حوارات» اليوم، وخاصة فى الإعلام، ما إن يبدأ الكلام حتى ترتفع الأصوات وتنتفخ الأوداج وتحمر العيون وتُطلق الألسنة وابلاً من الهجمات المصحوبة بأشد اللعنات. ولا يخلو المشهد فى كثير من الأحيان من شتائم يُعاقب عليها القانون, ولكن فقط عندما يكون سيداً على الجميع بلا تمييز.

فأين ذلك من كثير مما تحفل به الغرفة المنيرة فى تاريخنا وتراثنا الإسلامى. ومنه على سبيل المثال ما سطره الشهرستانى فى نهاية العام الحادى عشر الهجرى فى كتابه المشهور «الملل والنحل»، إذ كتب فى تقديمه: (لما وفقنى الله إلى مطالعة مقالات أصل العالم من أرباب الديانات والملل والأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص شواردها، أردت أن أجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون وانتحل المنتحلون، عبرة لمن استعبر، واستعباراً لمن اعتبر).

غير أنه ليس بيننا اليوم من يستبصر أو يعتبر إلا القليل على نحو يثير قلقاً بالغاً على عقلنا العام الذى يمر فى أزمة لا سابقة لها كماً ونوعاً فى العصر الحديث على الأقل.